الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة الفرنسية في رحاب الواقعيّة والالتزام

أوريدة عبود[1]

جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)

تاريخ التقديم: 21-10-2019 ، تاريخ القبول: 15-11- 2019، نشر إلكترونيا في 17-11-2019

https://doi.org/10.36602/faj.2019.n14.07

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية،التي ظهرت كردّ صريح وجريء على بعض الروائيين الفرنسيين الذين أرادوا تزييف حقيقة الوضع في الجزائر أثناء الاحتلال، لهذا قرر الروائي الجزائري فضح المستعمر وإدانته بلغته وذلك في إطار سعيه الحثيث للبحث عن الهوية الحقيقية للشخصية الجزائرية، فصارت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية تحمل مجالا أوسع للكتابة وآفاقا أكبر للوصف والتفصيل ولتصوير الأحداث، مما جعلها فضاء رحبا لتضمين المعاني وتحميل الدلالات والتفسيرات، إذ اتخذت لنفسها صورة فنية جديدة جعلتها ترتقي وتصنف ضمن الآداب العالمية، لتتحول الكتابة على حد تعبير الكاتب "مولود معمري" إلى إيمان عنيف بشيء يشعر الإنسان برغبة شديدة في إيصاله للآخرين.

كما يروم هذا البحث بيان مدى قدرة الروائيين الجزائريين أن يسيروا بالرواية في اتجاهات أكثر واقعية وأكثر تقدمية، حاملين على عاتقهم مبدأ الالتزام المرتبط بالنّظرة الواقعيّة، وسعوا بذلك إلى ضرورة التعمّق في الذّات الجماعيّة بتشخيص اضطرابات هذه الذّات كما سعوا لتحقيق الضّرورات الملحّة التّي تطلبها اللّحظة التّي يعيشها الوطن وتحياها الأمة، ذلك أنّ الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية أبرزت دائما موضوعها عبر امتداد زمني معين، ليشمل بيئة اجتماعية،أو جانبا من الحياة الإنسانية أو التاريخ الإنساني.

الكلمات المفتاحية: *الرواية الجزائرية، الواقع، الهوية، الالتزام،التاريخ، الدفاع.*

[1] abboudourida@yahoo.fr

ISSN 2664-1682

THE ALGERIAN NOVEL WRITTEN IN FRENCH IN REALISM AND COMMITMENT

OURIDA ABBOUD

Mouloud Mammeri University of Tizi-Ouzou

Abstract:

This paper deals with the Algerian novel written in French, which appeared as a reaction to some French writters who wanted to falsify the reality of the situation in Algeria during the French colonial period. Through a narrative speech written in the language of the coloniser himself; the Algerian novelist managed to expose the truth of colonial France and to reveal the falsehood of some of its writters alegations. The Algerian novel thus became a vaste space to convey of the algerians suffrings during this period of his history. This litterary experience has permeted to the Algerian novel to enter in to the ranck of world literature.

***Keywords**: Algerian novel, identity, commitment, reality, history, defense.*

1– مقدمة:

ظهرت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في بداياتها تقليدا للرواية الفرنسية، وقد استقت تقنياتها وأساليبها وفنياتها وموضوعاتها منها، لكن وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية والأحداث الداخلية التي عانت منها الجزائر، ظهرت موجة من الكتاب الجزائريين مستخدمي اللغة الفرنسية كأداة للتعبير، وكان تعبير هؤلاء بهذه اللغة نتيجة لظروف نشأتهم وتعليمهم أثناء الاحتلال الفرنسي، لكن ذلك لم يطمس هويتهم العربية والإسلامية. فقد كان الكاتب الجزائري يتمتع بروح تفاؤلية في كتاباته،و كان ينظر إلى الحياة والوجود بنظرة تطمح إلى كسر قيود الاستعمار الفرنسي والظفر بالحرية والانتصار.حمل الروائي الجزائري على عاتقه مهمة إثبات الهوية الجزائرية، ومحافظة على كيان المجتمع الذي عاش فيه شعب أنهكه الاستعمار منذ 1830م.

ISSN 2664-1682

أقبلت الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية تحمل في تضاعيفها التاريخ المثقل بالتنوع والثراء وبالصراع والمقاومة، ونسجت أحداثها وشخوصها من عبقرية الأرض والعروبة، وبناءً على ذلك توحدت عناصر اللغة والفكر والبنية والتاريخ والإنسان الجزائري، في صورة شديدة التعقيد والثراء تولدت عنها صورة الرواية الجزائرية المعاصرة، التي تعددت منابعها وتباينت أصولها ومشاربها وتنوعت أساليبها وتقنياتها.

1– 1 أسئلة البحث:

أوجدت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية واقعا اجتماعيا جديدا انطلاقا من رؤية خاصة، حاولت أن تجمع بين الخطابين المكتوب و المقروء والوعي، فكانت وليدة الرّغبة الملحة في إيصال الصوت العربي والتعريف بصورة إفريقيا للمتلقي الأوربي، لهذا يطرح بحثنا إشكالية نختصرها فيما يأتي:

– ماهي القضايا التي طرحتها هذه الكتابات الإبداعية؟

–هل نجحت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في نقل معاناة المجتمع الجزائري ؟

– كيف رصدت هذه الرواية أزمات الواقع والهوية؟

– هل ثمة وعي والتزام بما تطرحه هذه الرواية من موضوعات عبر امتدادات زمنية؟

– والرواية المعاصرة هل تبنت شكلا جديدا للإقناع والتواصل؟ بمعنى هل استطاعت أن تؤثث نفسها بمعارف وبنيات جمالية؟

– باختصار كيف نفهم حقيقة هذه الرواية كنمط وتشكيل روائي له مرجعيته و خصوصيته؟

1– 2 أهمية البحث و أهدافه:

تكمن **أهمية** هذا البحث في رصد أهم القضايا التي أثارتها الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسي؛ فعلى الرغم من اختلاف موضوعاتها وتنوع السياقات التي ظهرت فيها، لكنها تشترك في عرضها لصورة الإنسان الجزائري وكيفية تعامله مع العالم الخارجي في حركيته التاريخية والاجتماعية و تطوره الفكري و صراعه الثقافي و الحضاري. لهذا **يهدف** هذا البحث إلى إبراز كيفية استثمار الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية لأحداث الثورة

ISSN 2664-1682

التحريرية المجيدة باعتباره آداة جمالية تقدم معرفة مثقلة بروح التساؤل، عن حرية الإنسان الجزائري وعن تاريخه، عن هوية الأنا وحوارها مع الآخر،كما **تهدف** إلى بيان كيف نفهم حقيقة هذه الرواية باعتبارها نمطا وتشكيلا تبنت الواقعية و الالتزام كخصوصية و مرجعية.

2. المنهج و الاجراءات:

ارتأينا إلى اختيار المنهج الاجتماعي ذلك أن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية شكلت وعيا جديدا للإنسان الجزائري، وقد خصصت مناطق للتفكير والتفعيل الفني داخل الحلقات المتتابعة للتاريخ، لتمثل الجزائري المقموع ثقافيا ودينيا واجتماعيا، وسياسيا. إذ يمكننا التأكيد أن هذه الرواية نمت وتطورت نتيجة ظروف ثقافية وسياسية. كما يستعين بحثنا ببعض طروحات النقد الثقافي في معالجتنا لبعض القضايا المتشعبة المرتبطة بمختلف السياقات السياسية والتاريخية التي عرفتها الجزائر.

3 –عوامل ظهور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية:

مرت الجزائر بظروف استعمارية منذ احتلالها عام 1830، وكان للاحتلال تأثير كبير على الحياة في مختلف ميادينها وعلى الحياة الأدبية بصفة خاصة، ومنه فإن غزو فرنسا للجزائر كان غزوا شاملا، كان يهدف إلى التغلغل في أرض الجزائر واحتلالها احتلالا شاملا ودائما. ومنه لم يكتف الغزاة بالسيطرة على أراضيها ونهب خيراتها و إذلال أهلها فحسب، "وإنما يذهبون فيه إلى أبعد من ذلك،بالنيل من الأسس المعنوية والمميزات الحضارية للشعب الجزائري والطعن في عقيدته وتشويه قيم تراثه و طمس معالم شخصيته"(بن سمينة،2003، 14).

لعل أهم الظروف التي كان يعيشها الشعب الجزائري من جوع وبؤس وجهل هي ماجعلته يخوض معركة شاملة. ومنه فالمتصفح لتاريخ كفاح الشعب الجزائري يدرك أن مواجهته للمحتلين الفرنسيين كانت شاملة في جميع الجبهات المقاومة المسلحة، المواجهة الفكرية والجهاد السياسي.فهذه المعركة الشاملة مكنت الشعب الجزائري من مواجهة الغزو الفرنسي وقد انعكس كل هذا على الأدب الجزائري.وبحكم هذا التعايش والزحف المتزايد

ISSN 2664-1682

للفرنسيين كمستوطنين، ظهرت مجموعة من الأدباء الفرنسيين ولدوا وعاشوا بالجزائر من أمثال روبراندو وجون يوميي، وإيزابيل أبرهاردت، روبرراندوا ، وألبير كامي.كما أبرز الصراع بين الثقافتين المحلية والاستعمارية اتجاهين رئيسيين:

أ–اتجاه محافظ يرفض التجديد والإقبال على الثقافة الاستعمارية حتى لا يكون ذلك انتصارا للمستعمر.

ب– اتجاه مجدد مثلته مجموعة من الكتاب أقبلت على الثقافة الاستعمارية .فقد ظهرت مدرسة شمال إفريقيا المعبرة باللغة الفرنسية وضمت هذه المدرسة فئتين من الكتاب: أما الأولى تشمل الجزائريين من أصل فرنسي ولدوا وعاشوا بالجزائر منهم: إيزابيل أبرهاردت، روبليه، غابريال، أوديسيو، جيل روبرراندوا وألبير كامي.

أما الفئة الثانية فكانت من الكتاب الجزائريين من أصل جزائري والذين تمكنوا من أن يفرضوا أنفسهم في مجال الأدب بعد أن اتخذوا اللغة الفرنسية وسيلة للتغيير، وذلك لم يتم إلا بالمدرسة الفرنسية التي قامت على أنقاض المدرسة العربية. وعليه فإن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية وليد عوامل كثيرة، من أبرزها الاحتلال الفرنسي الذي اتخذ من سياسة التجنيس وسيلة لطمس الهوية الجزائرية والعربية والفرنسية، فاستعمل مختلف الطرق بغية تحقيق ذلك منها خطر تعليم اللغة العربية ومحاربة المدارس القرآنية والزوايا التي اضطلعت بمهمة تعليم الجزائريى لغتهم ودينهم وتفويض دور المسجد.وفي المقابل قام الاحتلال الفرنسي بتشجيع الحملات التبشيرية وإنشاء المدارس الفرنسية المختلطة في المدن والتي ضمت أغلبية فرنسية وأقلية جزائرية لتكريس تعلم اللغة لفرنسية باعتبارها لغة ثقافة وحضارة ولتكوين جيل جديد يتطلع إلى القيم الفرنسية بوصفها القيم المثالية و يعتنق الأفكار التي تشيّد بفرنسة الجزائر.

لم يكتب الأدباء الجزائريون ذلك الأدب بالفرنسية لأنهم تعلموا بالمدرسة الفرنسية بل لانفتاح ذلك الأدب على جميع الصلات الزاخرة القومية مع الأدب الفرنسي، وتأثر به واستمد منه تلك الموضوعات التي تتجاوب ومتطلبات تطوره وتعبيره عن الثورة. وهكذا فإن

ISSN 2664-1682

الثقافة الجزائرية كانت متعددة المشارب، تتطلع إلى الثقافة الفرنسية وغيرها من الثقافات العالمية.إن الاستعمار الفرنسي :"قد خلق أوضاعا استثنائية وظروفا سياسية فرضت على الجزائريين ثقافة جديدة، هذا إلى جانب الانفتاح على ثروات الأدب الفرنسي المتطور والاتصالات الفنية المتبادلة مع الأدب الفرنسي الذي كانت تقيم معه علاقات خصبة ومتبادلة عن طريق التأثير والتأثر" (Memmi,1969,P66).

المؤكد أن الأدب الجزائري يتميز عن بقية آداب اللغة العربية في العالم العربي بخاصية منفردة قلما نجدها، تجتمع في أدب العروبة قديما وحديثا، ويتمثل التمايز في جملة من الخصائص المركبة المعقدة، أنبتتها صيرورة تاريخية لا مناص منها، تدخلت في تشكيل الأدب الجزائري على مرّ العصور ثلاثة عناصر، العنصر المحلي، العنصر العربي والعنصر اللاتيني الفرنسي، وانصهرت العناصر الثلاثة لغة وحضارة عبر التاريخ، ثم لبست حلة عربية في مرحلة استعادة السيادة الوطنية في الربع الأخير من القرن العشرين، فالأدب الجزائري مع ماله من خصائص عربية عديدة تميزه، يختلف عن الأقطار العربية، حيث لم يكن للاستعمار تأثير مشابه على التعليم والثقافة، بل إن التفكير الجزائري ذاته يعدّ مختلفا ومتباينا، حيث إنه يشكل مزيجا من العقلانية والمنطق والشاعرية.

المهم من كل ذلك أن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية كان وليد مجموعة من العوامل على رأسها الاستعمار الاستيطاني للجزائر، من خلال سياسة الفرنسة، لكن البداية الفعلية لهذا الأدب، كانت نتيجة ما حدث عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى من خلال الانفراج ووقع ما يشبه نوعا من التقارب الجذري بين الطرفين، حيث حاول كل طرف الانفتاح على الآخر. ومن العوامل المساعدة على ذلك نجد:

- حالة الانفراج الدولي التي ساعدت على الانفتاح و التقارب.
- إعلان مبادئ ويلسون الشهيرة، التي تحدثت لأول مرة عن حق الشعوب في تقرير المصير.

ISSN 2664-1682

– القيام بالإجراءات السياسية والإدارية من قبل الحكومة الفرنسية التي خففت من حدة التوتر وهيأت الأجواء المناسبة لمثل ذلك الانفتاح.

– اعتراف وتقدير فرنسا لجهود العمال الجزائريين الذين كانوا يقيمون على التراث الفرنسى وضمنوا استمرار دوران آلات المصانع الفرنسية طوال الحرب و معوضين في ذلك مئات الآلاف من زملائهم العمال الفرنسيين الذين جندوا في الحرب.

–الانتخابات البلدية في مدينة الجزائر عام 1919.كانت بمثابة المحك الذي يتضح على ضوئه مدى صدق النوايا الاستعمارية في وضع الإصلاح السياسي موضع التنفيذ.

–مئوية احتلال الجزائر و كان لابد من إظهار شيء أمام الرأي العام العالمي الفرنسي نفسه يبرر استمرار احتلال البلد، ويظهر ثمار الرسالة الحضارية التي ادعى الاستعمار الفرنسي أنه جاء لنشرها في الجزائر، وكان لابد من تشجيع الأدب.(ينظر منور، 2007، ص. 122).

وبناء على كل هذه الاعتبارات، واستنادا إلى القوانين المذكورة والسياسات المتخذة، أصبح بإمكان الجزائريين لأول مرة في تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر، حق إنشاء الأحزاب السياسية وإصدار الصحف والمشاركة في الانتخابات المحلية. فكل هذه الأسباب والعوامل ساعدت على نشر اللغة الفرنسية في الأوساط الجزائرية، فأصبح الجزائري يعبر باللغة الفرنسية عن مختلف شؤونه الخاصة و العامة.

وهكذ تبرز الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية بعد أكثر من تسعين عاما من الاحتلال لتحمل في تضاعيفها هذا التاريخ المثقل بالتنوع والثراء وبالصراع والمقاومة،الأمر الذي يفسّر طابع المقاومة على الإنتاج الروائي الجزائري:" ويذكر(جان ديجو Jean) Dujeux أنه يمكننا فيما بين سنة 1920 وسنة 1945، أن نعثر على محاولات قليلة في الرواية، ونذكر من بين هؤلاء: القائد بن شريف عبد القادر حاج حمو سليمان بن إبراهيم صاحب رواية "خضرة راقصة من أولاد نايل"(Kadra danceused'Ouled Nail) التي كتبها بالمشاركة مع الكاتب الفرنسي "اتيان ديني" (Etienne Dinet) سنة 1920م،

ISSN 2664-1682

شكرى خوجة "الأوج سجين البرابرة" (El-Eudj Captif des Barbaresques) سنة 1929م محمد ولد الشيخ "مريم بالنخيل" (Myriam dans les palmes) سنة 1936م، "علي بلحاج" ذكريات طفولة "جندي من شمال إفريقيا" (Souvenird'enfance d'un blédard) سنة 1941م عيسى زهار "هند صاحبة الروح النقية أو قصة الأم" (Hind à l'âme pure ou l'histoire d'une mère) سنة 1942م، وأخيرا الإخوان زناتي اللذان كتبا رواية "أبو الأنوار الشاب الجزائري" سنة 1945م ،(Voir DUJIEUX 1982 , 77).لكن بعض من هذه الروايات تستند في موضوعاتها إلى الخرافات أو الأساطير المنتشرة بين أفراد المجتمع الجزائري. تعكس مجرد صورة فولكلورية سطحية للحياة في الجزائر.

4– الرواية الجزائرية في فترة الخمسينات من القرن العشرين /رحلة شاقة و مستمرة للبحث عن الهوية :

إذا كان أدب فترة العشرينيات و بعد الحربين على وجه التحديد قد أحاطته الدراسات بشيء من الشكوك والارتياب، فإن كتّاب هذه المرحلة استطاعوا أن يطوروا مستواه شكلا ومضمونا. ولعل من أهم أسباب هذه الطفرة الأدبية، أحداث 8 مايو 1945م التي بلغ فيها الوعي الوطني ذروته، وأصبحت الثورة دونه على وشك الانطلاق وكذلك نشاط الأحزاب الوطنية، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين بذلوا أقصى ما في جهودهم من أجل تفجير الوضع. وتتحدد هذه المرحلة ابتداء من سنوات 1950–1959م بظهور سلسلة من الروايات: "ابن الفقير" (Le fils du pauvre) لمولود فرعون(1913–1926) سنة 1950م، رواية "الهضبة المنسية" (La colline oubliée) لمولود معمري (1917–1989) سنة 1952م، "الدار الكبيرة" (La grande maison) لمحمد ديب (1920–2003) سنة 1952م، "الأرض والدم" (La terre et le sang) لمولود فرعون سنة 1953م.

ISSN 2664-1682

تناولت هذه الروايات الواقع الاجتماعي الجزائري لتركز على الشخصية الجزائرية من حيث تباين خصائصها المتميزة من عادات وتقاليدّ، وما يعانيه الفرد الجزائري في ظل الاستعمار. وتعد روايات نقدية للمجتمع من الخارج بما فيها من فضيحة للاستعمار، وتأكيد للذات الجزائرية. وقد ينتقل الكتاب من حين لآخر إلى وصف معاناة أبطالهم في أسلوب ساكن وحزين. ولا نشك في اختلاف مضامين أدب هذه النخبة من الكتاب عن أدباء المرحلة السابقة، فقد كان هدف "مولود فرعون ومولود معمري ومحمد ديب" تصوير الحياة في الجزائر كما عاشوها وخبروها هم أنفسهم، وكما كان يعيشها الآلاف من أبناء بلادهم، دون أن يدفعوا أية جزية أدبية للعواطف الوطنية الزائفة.

وبعد انفجار الثورة المسلحة سنة 1954م، بدأت الرواية الجزائرية تتبع طابعا ثوريا أكثر وضوحا من ذي قبل. فبعد أن كان الكاتب يستقي أحداث روايته من الواقع الجزائري ليعبر فيه عن إنسانيته وتضامنه مع بقية أفراد الشعب، راح يعرض لوصف كفاحه على لسان أبطاله في أسلوب مأساوي أكثر حدة وعنفا من المرحلة السابقة، وكان ذلك بظهور روايات جديدة، منها:"الحريق" (L'incendie) لمحمد ديب سنة 1954م، "إغفاء العادل" (Le sommeil du juste) لمولود معمري سنة 1955م، و"نجمة" (Nedjma) لكاتب ياسين سنة 1956م.

كاد يتفق جل النقاد والباحثين على"أن فترة الخمسينيات كانت مرحلة حاسمة في مسيرة الرواية الجزائرية الناطقة بالفرنسية، إذ ظهر خلالها رواد كبار بلغوا بأعمالهم مكانة عالية في الفن الروائي، أمثال: مولود فرعون، محمد ديب، كاتب ياسين، مولود معمري وغيرهم"(حاجم،2007،ص105). وقد كانت روايات هؤلاء حجة على بطلان ادعاءات المستعمر، ولعل أولى الروايات في هذا المضمار"ابن الفقير" لمولود فرعون الصادرة سنة 1952م، بيّن فيها كيف يكون الطبع الحقيقي للرجل القبائلي، حيث يولد الطفل في هذه المنطقة من أجل المعركة في سبيل الحياة .أما الجانب الآخر الذي تصوره الرواية هو الظروف

ISSN 2664-1682

التي مهدت لثورة التحرير، إنه الصراع من أجل إجادة لغة غريبة، حيث يشعر "فورولو" بطل الرواية بنفسه غريبا في الثانوية الفرنسية ويخشى الطرد لأتفه الأسباب.

صاغت رواية "ابن الفقير" بصدق وبدقة متناهية واقع الحياة في المجتمع القبائلي بكل تمظهراته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ليس لمن يلاحظها فحسب، بل لمن يشارك فيها كذلك بوصفه عنصرا من يوميات تلك الحياة، كما أن" فرعون"لم يعتمد في ذلك على أذواق القارئ الأوروبي، لأنه أراد –قبل كل شيء– أن يبين قيمة التقاليد والتصورات "الموروثة عن الأجداد منذ أزمنة غابرة: "عن الحياة، والموت، والشعور بالاعتزاز، والشرف، والكرامة الإنسانية، وعن قواعد وأخلاق وسلوك الإنسان في الأسرة والمجتمع، وعن مفهوم التآزر القبلي، وعن العداوة، والثأر الدموي"(بوباكير،2002،ص 26). يُبينها في صورة واقعية تتموضع في الحيز التاريخي والجغرافي، مليئة بالحركة والحياة اليومية لأفراد المجتمع.

يرى كثير من الباحثين، أن رواية "ابن الفقير" هي عمل بيوغرافي أو سيرة ذاتية لمؤلفها، لأن ارتباط نص الرواية بسيرة صاحبه الذاتية حقيقة لا تحتمل الجدل، وكثيرة هي النصوص التي يلمس فيها الناقد على نحو سهل شخصية صاحبها وأجزاء كثيرة من تفصيلات حياته الطفولية واليومية. وهذه الرواية بقدر ما تروي سيرة مولود فرعون الذاتية، بقدر ما تعبر كذلك عن سير أفراد عائلته فردا فردا، بأسلوب غير صريح ودون إهمال لجمالها الفني كرواية يمتزج فيها الواقع بالمتخيل والحقيقة بالخيال، ويجد فيها القارئ منذ الوهلة الأولى، التطابق شبه الكلي بين حياة (فورولو منراد) بطل الرواية وشخصيتها الرئيسية، وبين حياة مولود فرعون كاتب الرواية، كما أنها تعد من الروايات التي تحكي هموم الشعب الجزائري نيابة عنه، وتكشف معاناته مع قسوة الطبيعة وصعوبة الحياة، في حقبة استعمارية أراد المحتل من خلالها، طمس كل ما يدل على أصالة المجتمع وثقافته وعاداته وتقاليده وطقوسه الدينية، لذا نجد فرعون يحكي بشغف وصدق عن منطقته وأناسها، وعن مصيره الشخصي فيقول:

ISSN 2664-1682

"أعتقد أن الرغبة في إرغام الآخرين على معرفة واقعنا وحياتنا الحقيقية، هي التي دفعتني بالذات إلى الكتابة"، وقد ركز فرعون في إبداعه الأدبي على موضوعات بعينها، كالأرض الأصلية، بعاداتها وتقاليدها وكل تمظهراتها الثقافية، وظروف الوضع الإنساني للشعب الجزائري، ووضع العمال الجزائريين في فرنسا، واعتمد فيه المنهج الواقعي، حيث كان يتطلع إلى التعبير عن الوجود الحقيقي للجزائريين وتصويره من خلال التعبير عن يوميات حياته، لأنها حياة –كما يقول– جديرة بأن يطلع عليها الناس، على الأقل أبناؤه وأحفاده(Feraoun,1950 ,P 9) ،و غرضه من ذلك إقامة جسر للتواصل، يربط من خلاله الحاضر بجيل الماضي وبكل ما يحمل من مكونات ثقافية.

أما رواية (الأرض و الدمّ) فقد تناول فيها (فرعون) أول مرحلة من عملية هجرة عمال شمال إفريقيا بسبب الوضع الشاق للعمال والفلاحين في المستعمرات، التي بدأت بشكل مكثف من العشرية الأولى من القرن العشرين. و إذا كانت الهجرة الاضطرارية مرتبطة في البداية بالمعاناة الشاقة لفراق الأرض الأصيلة، فإن الأمر أصبح شيئاً فشيئاً عادياً، أملاً في الكسب السهل في فرنسا. وحدث أن العودة إلى القرية كانت مرفوقة بصدمة نفسية، فقد كان الإحساس بالفرق بين العالم المهجور –عالم الغرب وعالم الوطن– يقول الروائي فيها :" وهكذا يعود عامر إلى موطنه رفقة زوجته الفرنسية الشابة، بعد أن اشتغل سنوات عدة في فرنسا، وجرب كل أنواع الحرمان، التي كانت من نصيب المغتربين في أوروبا لكنه لا يستطع مدة طويلة، أن يتأقلم مع حياة قريته الصغيرة، التي بدت له متخلفة ومتوحشة، واحتاج إلى عامين كي يصبح قبائلياً من جديد، وكأنه لم ير الكثير في حياته، ولم تحنكه الصعاب، ولم يواجه الموت (Feraoun,1953,P69).

وقعت أحداث "الأرض والدم" في الفترة ما بين الحربين العالميتين، وتنتهي في عام 1930، ويفاجأ عامر بالحرب حالما يصل إلى فرنسا ونشعر بأنفاس ريح التغيير، وريح التاريخ، ابتداء من الصفحات الأولى في رواية« الدروب الصاعدة»، التي تبرز ذلك العالم المنغلق، الذي لم يمسسه الزمن، وهو ينسف تحت هجوم العصر، وللطبيعة الشاقة والمأساوية

ISSN 2664-1682

أحياناً لتأثير هذا الصدام بين الجديد والقديم في وعي الناس وسلوكهم. والرواية دراما عاطفية، حيث نجد مثقفاً قروياً، منعزلا في قرية قبائلية نائية، ومنفصلاً عن العالم، وبعيداً عن التاريخ، :"نجده يكتب مذكرات لا حاجة لأحد بها في وقت يقوم فيه جميع المثقفين الجزائريين بالثورة"(Feraoun ,1957,P 50).

يستمر فرعون في الدروب الصاعدة (Les chemins qui montent)، يصور عالم القيم القديمة المتفجرة في تغذية الأمل في الأشكال الإنسانية للتخلص من العبودية. تعتبر "الدروب الصاعدة" امتداداً للرواية الثانية، وإن كان هناك انقطاع في الوقت، حيث إن يوميات عامر ترجع في تاريخها إلى الخمسينات، وتعتبر بمثابة سنوات اليقظة بالنسبة للجزائريين، أي بداية الثورة ونهاية صدام الحضارات، وكذلك بمثابة بوتقة تذوب فيها خيبة أمل الإنسان الجزائري وسخطه وعدم رضاه.

جمع (مولود فرعون) في ذاته عالمين وثقافتين وسيظل ممثلاً أنموذجياً لجيله، ومثالاً للفنان المخلص والشجاع،الذي نجد في إبداعه جدية و التزاما لتصوير حياة وطنه، وشعبه بموضوعية، وطرح المشكلات والمتناقضات التي زخرت بها مرحلة يقظة الوعي الوطني للجزائريين. وإذا كان لزاما على كاتب الرواية أن يترك في قارئه انطباعا بواقعية الحياة، فإن(فرعون) قد تجاوز هذا المطلب إلى إجبار القارئ على الاندماج والعيش في تلك الحياة التي يروي وقائع أهلها، وعن الشهادات التي سعى إلى تسجيلها عن أرضه وشعبه.

كذلك شكَّل ظهور ثلاثية محمد ديب منعطفا حاسما في تطور الرواية الجزائرية سنة 1952م ، بداية من رواية "الدار الكبيرة ,La grande maison" ، مرورا برواية "الحريق" L'incendie و "النول Le Métier à tisser " .و بعده نشر محمد ديب« الدار الكبيرة» سنة 1952، وفي سنة 1955 أضاف لها الجزء الثاني من الثلاثية« الحريق». ويعد محمد ديب رائداً للرواية الجزائرية الحديثة المكتوبة باللغة الفرنسية، امتص هموم الإنسان الجزائري، الذي كان الشعب والأدب الشفهي عامة هو زاده الروحي الرئيسي. وتأتي ثلاثيته في مقدمة الأعمال التي تؤرخ لتطور الرواية الجزائرية، إضافة إلى كونها سيرة ذاتية لصاحبها،

ISSN 2664-1682

مذكرات الشعب الجزائري، أو هي الجزائر نفسها كما قال معظم النقاد، فهي تتناول حياة العمال في المدينة، وحياة الفلاحين في القرية، وتنتهي إلى« أن النار قد بدأت ولن تتوقف أبداً. إنها تستمر مشتعلة ببطء إلى أن تعم ألسنتها الدموية البلاد كلها بحرارتها المدمرة» .(Dib,1959,P) 20

والشيء نفسه ربما يكون قد فعله مالك حداد(1927-1978) مع بعض الخصوصيات، التي رافقته طول حياته، فمن « رصيف الأزهار لا يجيب أبدا *Le quai aux Fleurs ne répond plus*» إلى« سأهبك غزالة Je t'offrirai une gazelle » إلى« التلميذ و الدرس*L'Elève et la leçon* ». ظل حداد يعبر عن هموم وطنية وقومية وإنسانية برؤية تقدمية في شكلها العام، الأمر الذي ساعده على عدم السقوط في التعميم والغموض.تشكل رواياته قصائد تأثيرية، تظهر فيها من حين لآخر تصريحات وطنية وحماسية، وهو ينظر إلى الحدث كشاعر بقلبه قبل فكره. الحقيقة أن حداد له مفهومه الخاص للالتزام. فالكاتب لا يلتزم إلا بشخصيات رواياته لكنه لا يهمل ثورة التحرير والمجاهدين، الذين "كانوا يقاتلون من أجل أن يحققوا السعادة والخير لشعبهم، أو من أجل الغزلان" (Hadda,1959,P 30). إن موضوع حداد هو الحياة الروحية للشخصية، التي تنطوي على قدرة فائقة على معارضة هجوم القوى الهدامة والمعادية للإنسان. وهذه القدرة لا تتجلى في أحداث خارجية باهرة تسترعي النظر، لأن بطل حداد يحوز انتصاراته في الحياة اليومية غير المحسوسة، وهذا لا يحط بتاتاً من مغزاه.

دارت روايات "حداد" حول الثورة الجزائرية، وتلمسها من قريب ومن بعيد في دوامة من المشاعر والعواطف، هذا وأن شخصية الكاتب والثورة تشكلان نبعاً غزيراً لرواياته، وحب الوطن يقوم بمثابة رباط الحياة، الذي يربط كافة الحوادث ببعضها بعضاً. يبرز حداد في رواياته كاتب شعر أكثر منه كاتب قصة. فقد تأثر بالشاعر الفرنسي « أراغون»، وكذلك بالفيلسوف« برغسون»، الذي ترك أثراً واضحاً على أعماله، وبالرغم من كل هذا ظل الأديب يعبر عن هموم وطنية وقومية وإنسانية، برؤية تقدمية في شكلها الكلي ، حيث

ISSN 2664-1682

ركز على الجو القلق والتوتر الذي طبع الحياة المعيشة، وجعل أبطاله يعيشون ذلك القلق والتوتر ، ويعانون الحرب وآثارها، وهو ما جعل كثير من الدارسين يرى أن أعماله تمثل الرؤية الأكثر عاطفية تجاه ثورة التحرير.قدمت روايات "مالك حداد "فكرة عن الدرجة النوعية الجديدة التي ارتقت إليها الرواية الواقعية الجزائرية.

5– الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية بعد الاستقلال/رؤية واعية للبحث عن الشكل الأمثل للاقناع:

بعد صراع طويل مرير وحرب ضروس ضد المستعمر الفرنسي، تحررت الجزائر ودخلت مرحلة كانت نقطة تحول حقيقي في سيرورة الأحداث والظروف فرضت رهانات و تحديات جديدة، و أبرزت معطيات مغايرة وضعت دولة الجزائر أمام خيارات مصيرية استوجبت استراتيجية خاصة تتماشى و مستجدات مرحلة الاستقلال وآفاقها الرحبة. وكانت خطوات الجزائر الأولى التي أقدمت عليها آنذاك، وهي على مشارف الاستقلال تقديم تصور عن الدولة المستقبلية و الشخصية الوطنية المستقلة، و تحديد مقومات هويتها طبقا لمبادئ الثورة التحريرية، وهذا ما نلمسه بوضوح في بيان طرابلس يونيو 1962 حين عين قادة الثورة الخطوط العريضة لم ستكون عليه الجزائر المستقلة. أكدوا فيه أن الجزائر قطر ينتمي إلى وطن واحد كبير وهو الوطن العربي، و الجزائريون ينتسبون إلى مجموعة بشرية هي الأمة العربية تربطهم مع شعوب أخرى، تاريخ واحد وينتمون إلى حوض حضاري واحد.كما ظلت اللغة الفرنسية تحرك المجتمع الجزائري، و تحتكر القطاعات الهامة، كقطاع التعليم و الادارة و الاقتصاد والإعلام وتهيمن على مجريات الحياة الأدبية و الثقافية والفكرية.

وأمام هذه التحديات سعت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية دائما إلى إبراز موضوعها عبر امتداد زمني معين، ليشمل بيئة اجتماعية، أو جانبا من الحياة الإنسانية أو التاريخ الإنساني. و بناء على ذلك صارت الرواية مجالا واسعا للوصف والتفصيل ولتصوير الأحداث ،مما يجعلها فضاء رحبا لتضمين المعاني وتحميل الدلالات والتفسيرات.

ISSN 2664-1682

عرفت الرواية الجزائرية بعد الاستقلال انتعاشا كبيرا، وانصبت موضوعاتها حول المجتمع الجزائري وحول الثورة الجزائرية بصفة عامة .وأغلب الكتابات اشتركت في الموضوعات نفسها، و لكن اختلفت في طريقة أو كيفية معالجة هذه الموضوعات.ولعل رواية مولود معمري: "الأفيون والعصا" (L'opium et le bâton) التي صدرت سنة 1965م،هي أهم هذه الأعمال تمثيلا للواقعية. فقد كان "معمري" من الكتاب الجزائريين الذين انحازوا في أعمالهم الروائية إلى دائرة الالتزام الثوري واحتضان صميم القضية التي استحالت إلى أصل في سلم الاختيارات، مما جعله يستغل استراتيجيات إنتاج النّص الرّوائي ضمن خطاب الثورة الموظف عبر بنيات سردية. تمثل هذه الرواية ظاهرة بالغة الأهمية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في عهد الاستقلال. وهي أول نتاج أدبي عن الثورة الجزائرية، ألفه كاتب ظل وفياً لمبادئ إبداعه الباكر قبل الحرب، وليس مصادفة أن ينشر معمري روايته هذه بعد نهاية المرحلة التاريخية التي يصفها، ذلك أن الكاتب يفضل اتجاهات الواقع، التي تحددت وبرزت بوضوح وليس تلك التي ما زالت في طور الارتسام. ومع ذلك لا ريب في جدة الموضوع الذي اختاره، ولا يتخلى الكاتب عن السرد التوسعي في الأغلب، ويسعى إلى بحث وضع الأمة، مصوراً وعي الفئات الاجتماعية، الوعي الناقد،الذي يجسده البطل الرئيسي الطبيب البشير.

يتضح أن البطل الإيجابي هو بشير بالذات، وعلى امتداد تطور الرواية. تبرز كثير من شخوص المؤلف أفضل مما كنا نتوقع. وتكمل عضوباً الخلفية الشعبية للرواية، التي تشكلها صورة حياة الجماعة الفلاحية في عهد الهزات الرهيبة صورة البطل المركزي بشير، الذي يبحث عن الحقيقة لخير المستقبل الوطني. إن تصوير الارتباط العميق لشخصية تقدمية مفكرة بالكل الشعبي في رواية« الأفيون والعصا» يحدد المغزى الاجتماعي لهذا الأثر الأدبي البارز. الملاحظ أن شخصية "بشير" ارتبطت بكل الشخصيات بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ذلك أن الكاتب أراد أن يجعل هذا البشير أخا للإنسان كما يصرّح قائلا: «إنني أفضل أن أرى في تجربة الجزائر "بشير"، الموقف المشرف لرجل يشعر مباشرة وبدون تحفظ

ISSN 2664-1682

بأنه صديق جميع الناس، بدون الالتفات إلى أشياء عميقة مثل ملابسهم وأحاديثهم وعاداتهم» (MAMMERI,1965,P 172).

تتغنى رواية"الأفيون والعصا" بحرب الاستقلال، بمحاسنها وتناقضاتها، بأصدقائها وخائنيها. تدور أحداثها في إحدى القرى القبائلية تسمى "تالا". تروي "تالا" بقلم "معمري" جهاد سكانها أثناء الثورة التحريرية، تروي بجبالها وتلالها القمع الذي تمارسه يوميا على شيوخ ونساء القرية بسبب دعمهم للمجاهدين ومساندتهم لهم. بنيت رواية "الأفيون والعصا"على خطوط فاصلة لكنها متماسكة وواضحة، بحيث وقف الجزائريون المقاتلون على جانب، ووقف الجيش الفرنسي على جانب آخر، وبين الجانبين يقف الشعب الجزائري رافضا الخضوع والاستسلام.

شكلت الرواية وعيا جديدا للإنسان الجزائري، وقد خصص "معمري" مناطق للتفكير والتفعيل الفني داخل الحلقات المتتابعة للتاريخ، لتمثل الجزائري المقموع ثقافيا ودينيا واجتماعيا، وسياسيا، إذ يمكننا التأكيد أن الرواية عند "مولود معمري" نمت وتطورت نتيجة ظروف ثقافية وسياسية، لأن الفن الروائي في حاجة ملحة لإبراز القدرات الفنية والجمالية قبل أن يكون وسيلة كفاح وتوضيحا لرؤية سياسية، وثورة الجزائر حاضرة كمرآة في هذا الفن.

جعل "معمري" من"الأفيون والعصا"حكاية حرب دامية –وقد تخلص من أسلوب اليوميات–، تكشف النظرة المتعمقة التي يتمتع بها الكاتب. لقد تمثلت الثورة في هذه الرواية من خلال مضامينها وعناصرها السردية كونها تجمع بين الأبعاد الوطنية والقومية والإنسانية. ذلك أن "معمري" ينظر إلى الحرب من الزاوية الإنسانية، فقد عبر في تفكيره حدود المعركة إلى عالم الإنسان الواسع مما جعل الرواية تخرج من مجال الأدب الوثائقي، وتبني على أهداف ثلاثة، وصف حرب التحرير، تحليل السياسة الاستعمارية، دراسة موقف الإنسان عندما يواجه قرار حاسما مصيريا، وبهذا المتطور دخلت هذه الرواية باب الأدب العالمي وعبرت حدود الإقليمية الضيقة.

ISSN 2664-1682

وحتى في فترتي الثمانينيات والتسعينيات اعتمدت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية على مصادر كثيرة فقد اعتبر (رشيد بوجدرة Rachid Boudjedra 1941) مثلا الشعب أحد أهم مصادر كتاباته، فالشعب يمثل مدرسته، وأفراده إخوته الذين يرتبطون معه، ليس برابطة الدم فحسب، بل بأخوة خلقها الكفاح والنضال المشترك، وتركز أعماله حول هذا الاتجاه وعلى وجه الخصوص في روايته« التطليق التي تتناول اليقظة الوطنية لدى الجزائريين. و يدعو إلى عدم استغلال الشعب وثورته، وأن الأدب الجديد يجب أن يهتم أكثر بالنضال من أجل الإنسان الجديد، فهو ينتقد السلطة في الجزائر المستقلة، مبيناً أخطاء ونواقص الثورة التحريرية

خصص بوجدرة جل رواياته المكتوبة باللغة الفرنسية، لمعالجة مشاكل ما بعد الاستقلال، ووجّه فيها نقداً لاذعاً للمسؤولين، كما أثار مسألة الاختلال العقلي الذي عانى منه بعض قدماء المجاهدين، وخصص لهم مكاناً كبيراً في هذه الرواية. ومن المعروف أن الحروب تنجم عنها عادة أمراض نفسية، واختلال عقلي للمحاربين. نظر بوجدرة إلى الوضع في الجزائر المستقلة من خلال عيني مريض نفسي سابق، فأعطاه هذا المنطلق حرية كبيرة في نقد السياسة الجزائرية، فمن يعاقب مجنوناً على أفعاله وأقواله؟ وقد احتاط الكاتب، فحذر القارئ موضحاً بأن بطل روايته لم يشف تماماً وأنه يصاب بنكسات من آن لآخر. وأخذ الراوي محتمياً بذلك الدرع، ينقد الأوضاع في الجزائر قبل الاستقلال وبعده. فهاجم العادات والتقاليد بنفس العنف، الذي هاجم به الجزائر الثورية 1969,P, (Boudjedra 30).

ونلحظ أن بطل رواية « التطليق La repudiation» رشيد فرح بمرضه العقلي، الذي يبعده عن واقع الحياة والأوضاع المتدهورة في الجزائر، فكان يجهل حقيقة الأمور، لكن كان يدرك بحدسه أن الوضع مخيف، وذلك لأن الجزائر كانت فيها سجون ومعسكرات، ووسائل التعذيب ما زالت تمارس. وكان يشعر أن الاستقلال لم يأت بتغيير مفيد، ولم ينتج عنه إلا عمليات الانتقام، والاحتفالات والإثراء الفاضح.

ISSN 2664-1682

قدم رشيد بوجدرة نصوصا متشظّية تقوم على الهدم البنائي خاصة في البنى الزمانية، وهذا يعد مظهرا من مظاهر الرواية الجنونية على حدّ تعبير محمد أسوبرتي: إن البنية الروائية الجنونية لا تخضع كما هو الشأن في البنية الروائية العقلانية، للمنطق الشديد في تعاقبية الأزمنة الكرونولوجية، ماضي ،حاضر، مستقبل، وإنما تخضع لمنطقتها الداخلي، ووفق الأعماق النفسية للشخصيات والسارد في "الرؤية مع" التي تفلت بحثا عن حريتها في التمظهر وممارسة الحضور، من قيود العقل الكابت والقامع، ومن الوعي الذي لا يعد سوى جسر الذات إلى العالم الخارجي (أسوبرتي ،1987، ص 94)

وإذا كانت هذه البنى في رواياته بتلك الهيئة المخربة، فلأن لها علاقة سببية ما بالشخصيات والمجتمع ومختلف الانكسارات والصدوع التي وسمت المراحل المنقولة سرديا، ولا يمكن أن تكون إلاّ كذلك، رجراجة ومنكسرة حتى تتناغم مع الموضوعات التي يتعذر نقلها بأحادية زمانية محايدة. لقد انمحى رشيد بوجدرة في طبيعة موضوعاته ذلك أن وعيه بالكتابة جعله يتمثل الزمن وفلسفته ويطبقه وفق استراتيجية عارفة بدوره في شحن المعنى، ليس كأجزاء متمّمة، بل كسند قاعدي له كيانه· وإذا عرفنا ثقافة بوجدرة الفلسفية أدركنا هذه الخيارات البنائية التي لازمت رواياته، ما يحيل على دراية بكيفية بنية الأحداث وفق خطة لاعلاقة لها بالترف الذهني العابث، بقدر ما ترتبط ارتباطا موضوعيا بنفسية الشخصيات والساردين، وبطبيعة الموضوع.

لقد أدخل "رشيد بوجدرة" إلى الكتابة الروائية قلقا فنيا و إيجابيا يحرك و يحرض جيلا جديدا من الكتاب الجزائريين الذين أسّسوا لكتابة المرارة الاجتماعية والسياسية الجديدتين، مرارة زمن الاستقلال. إذ استطاع أن يحرر الكتابة من تقاليد المدرسة الأدبية المغاربية الكلاسيكية وأن يفتحها على موضوعات ظلت تابوهات أمام هذا الجيل الذي تربى في مدرسة الانضباط الإيديولوجي الوطني والأحادية الحزبية التي تغطي على انزلاقات الأنظمة التي قادت الوطن بعد استقلاله.

ISSN 2664-1682

أما الكاتب رشيد ميموني Rachid Mimouni (1945 – 1995) فقد بلور خطابا موازيا مع النصوص الروائيةحول القضايا التي تشغل القمع سواء منها القضايا الخاصة بالتوجهات الإيديولوجية أو فيما يخص أبعاد الهوية أو حول الطبقة المثقفة، أو مسألة المسار التاريخي والإرث الحضاري المتنوع وكيفية التعامل معه أمام القيم الإنسانية وأثرها على مستوى الفني والاجتماعي والاقتصادي وغير ذلك من القضايا الجوهرية. ونقرأ" لرشيد ميموني" في هذه الفترة رواية «النهر المحوّل le fleuve détourné و رواية طومبيزا». التي تثير في ذهن قارئها المتوهم عوالم وجودية، إذ تضعه روايته الأولى بين أهم الروائيين الذين يتوقفون في إثارة الانفعال والخوف، فنهر ميموني، يشدنا إلى مخاض شعب بأكمله، وتنضاف إليها رواية طومبيزا لترسم ملامح البؤس والعنف والقرف الجامح في ليل حالك السواد لا تخترقه سوى التماعات حب جارف لفضاء سرقت منه الأضواء.

وبعد خمس سنوات تظهر رواية « شرف القبيلة L’honneur de tribu » سنة 1989 لتثير ضجة في الأوساط الثقافية الفرنسية والجزائرية،.حملت هذه الرواية في طياتها خيبة الأمل الرهيب الذي ميز الجزائر المستقلة ، حيث نجد المؤلف يستخدم الحكاية الخرافية القديمة ليسرد لنا أعماق المجتمع، بأخطائه، بآماله، بمشاكله وبتناقضاته مازجا في ذلك بين الأسطورة والواقع، والخيال والتاريخ .

تتمحور فكرة الرواية الأساسية حول أهمية التشبث بالأرض والارتباط بين أبنائها.تطالعنا رواية "شرف القبيلة"منذ بدايتها على عالم القرية أو "الزيتونة" كما يحلو للراوي أن يسميها، لتكون معادلا لكل قرية من قرى الريف الجزائري في فترة الثمانينيات وتعبيرا عن مرحلة اجتماعية وحضارية حرجة يمر بها الريف.فسكانها أناس مسالمون بسطاء متمسكون بالقيم والمبادئ التي تركها لهم أجدادهم، ويتجلى ذلك واضحا من التسمية التي أطلقوها على قريتهم بعد وفاة "الولي المبجل،" الذي دفن عند الزيتونة الكبيرة التي أخذت القرية منها اسمها. فالزيتون يعتبر رمزا يدل على رسوخ جذور الشعب في أرضه وعلى استمراره زمنيا. كما تمثل انتماء هذه القرية إلى جذورها العربية الذي عرفته منذ أقدم حقب

ISSN 2664-1682

التاريخ، فشجرة الزيتون لها دلالة التمسك بالأصالة والتاريخ، مما أعطى للرواية وللقرية بعدا روحيا.

تشكل هذه القرية مكانا إطاريا عاما يبسط أمامنا الحياة الإنسانية في طبيعتها الأولى؛ في سعتها، وبساطتها، وعفويتها، وعمقها من خلال أزقتها المظلمة، وشوارعها الضيقة الملتفة، ومرتفعاتها ومنخفضاتها، وحركة أناسها الذين يملأون المكان بحركتهم.أناس يتحدّون الواقع، بل يتحدّون مظاهر الطبيعة القاسية في حرّها وقرّها. كأنما هي إشارة من الكاتب للرجوع للأصول الأولى وللعيش الكريم، لأن عيش حياة القرية يحمل في ذاته كل معاني الألفة والتضامن بين البشر، حياة النقاء والصفاء والحرية التي تنعدم في حاضر الكاتب وبالضبط في زمن غدر به الأجانب.

ولأن الزمن بماضيه وحاضره يكسب المكان أبعادا أخرى فإن قرية "الزيتونة" التي تجري على رحمها أحداث الرواية، تبدو خاضعة لهذا المنطق الزمكاني، خاصة وأن الرواية تنبني على أساس زمنين زمن الحاضر، وزمن الماضي، لذلك ستبدو ملامح هذه القرية عبرالرواية مشكّلة من صورتين زمكانيتين، صورة أولى تحيل على الصفاء ، وصورة أخرى تعبر عن الواقع الموحش الذي آلت إليه تلك الصورة الأولى في زمن الاستقلال.

تشكل كتابات رشيد ميموني سيرورة أدبية ضمن أعماله الكاملة التي تتجه إلى قارئ متلق يرافق الروائي في قراءة تأويلية حداثية، عندما يتعاطى معها القارئ المتلقي تعاطيا معرفيا، وتعاطيا وظيفيا، انطلاقا من وعي عملية الكتابة الأدبية، وعن وعي وجودي تمثل الكتابة في حد ذاتها تجاوزا له رغم ما في عملية التجاوز من مخاطرة على مستوى فعالية التواصل. وهي تتأطر من حيث مضامينها المعرفية وإجراءاتها المنهجية ضمن استراتيجية الكتابة. إنها رؤية واعية للمجتمع الجزائري عبر حقب مختلفة من تاريخه و معاناته.

جاءت بعد ذلك روايات "طاهر جاووت Tahar Djaout "(1954-1993) محمّلةً بأسئلة الماضي وبقراءات جديدة لوقائع قديمة وأخرى معاصرة، مع تكرار مقصود لتيمات التحرر ومحاولة تحديث تجارب مضت. وقد تجلى ذلك في تجربته الروائية

ISSN 2664-1682

"امرأة منزوعة الملكية Femme dépossédée"1981 ، الباحثون عن العظام *Les Chercheurs d'os* 1984 «ابتكار القفار L'Invention du désert » (1988)، و«العسس Les Vigiles » (1991) و«صيف العقل الأخير Le Dernier Été de la raison » 1999.

لم تركز روايات "جاووت" الأدبية على همّ سياسي مباشر، ولا على طرح إيديولوجي واضح. بل انفتحت على فضاءات رحبة على الصحراء والخلاء. فرواية "ابتداع القفار" مثلا تعيدنا إلى عوالم دولة الموحدين، وشخصية المهدي بن تومرت. وإلى طريقة إعادة لمّ أشلاء الذاكرة المضطربة.

تأتي رواية "الباحثون عن العظام" لتسلط الضوء على فترة حساسة من تاريخ الجزائر فترة ما بعد الاستقلال وقد طرح عدة تساؤلات حول التاريخ و الهوية والذات والمستقبل فهي رواية تشكل رحلة بحث تكوينية لطفل يكتشف الجزائر المستقلة ، طفل يكتشف الوجه الحقيقي للجزائر بعد الاستقلال. رحلة تتفاعل مع أسطورة جلجامش في بحثه عن الخلود.

تقوم روايات جاووت على مجموعة من الخصائص الفنية و لعل المقابسات، أو التناصات، الداخلية والخارجية، هي التي أخذت حيزا معتبرا في رواياته، إن تجاوزات الوصف الخاص بتمفصلات المعنى وبحثت في الوظيفة. ذلك أن "جاووت" يعرف كيف يحاور المنتوج الغيري بتوطينه بنائيا ،بحيث يغدو، في أغلبه، أصيلا ومتفرّدا· ما يعني، بشكل ما تحقيق انسجام ما بين البنية النصية والمحيط الخارجي، ما بين الأشكال السردية وهوية الذات المنتجة للفعل السردي، الذي يميّزها عن الأفعال الغيرية التي لها مسوّغاتها وسياقات إنتاجها.

ترحل بنا روايات "جاووت"إلى الداخل وإلى الخارج، وإلى الموروث العربي، وإلى الجهود الأوروبية والأمريكية .روايات مهاجرة بأشكال مختلفة، وهي إذ تفعل ذلك تؤثث نفسها بمعارف ومرجعيات أخرى بحثا عن الشكل الأمثل للإقناع، أو للتواصل· ربّما لاحظ الكاتب، في سياقات مخصوصة، أن امتلاء الدلالة لا يتحقق إلاّ بتوظيف شخصيات إحالية

ISSN 2664-1682

مساعدة، أو باستيراد مقاطع كافية تعود للأساطير والتراث الشعبي للتدليل على حالة أو حدث· أي بإشراك الآخر في العملية السردية برمّتها، ما دامت الكتابة، مهما كانت طبيعتها وعبقريتها، جزءا من هذا التناص الأكبر الذي يسمّي الحياة ومكوّناتها، ولا يمكن أبدا الهرب من مؤثراته وآثاره.

تنشغل تجربة "جاووت" بتكريس خطاب روائي يبحث عن أشكال فنية وتعبيرية وينشئ معمارية مطبوعة بسمات التجاوز و المغايرة، تشيّد جمالية تسعى إلى استكمال تشكلاتها واستجماع عناصرها وآلياتها التي تنظمها بكل أبعادها الواقعية والثقافية في مسار السرد، وهذا المسعى نهض بالدرجة الأولى على عدد من المرتكزات الفكرية والخصائص الجمالية المتصلة بأسئلة المتن والشكل واللغة. لهذا غدت رواياته بنية مفتوحة تمردت على سكونية اللغة وصيغتها الحكائية فتبلورت طرائق مستحدثة تضم خواص اللغة وشعريتها.كيف لا وهو الذي ظلّ دائما منجذبا لعوالمه الشعرية التي يحاول دائما أن يجد لها مكانا في رواياته.

استطاعت روايات" طاهر جاووت" أن تبني لنفسها بنيات جمالية تعتمد على تجاوز المألوف والمتعود .تجربة اعتصرت الواقع الجزائري، كاشفة عن التحول المهم في التصور الجمالي للعمل. تأخذ بالمتغيرات الحضارية وتعاين موقفهما من التراث المعرفي الثري وكأنه بذلك يسعى إلى انبثاق الرواية في شكل مغاير، مفارق من خلال ضرورة إبداع نوع من البعد عن القيم السائدة، :"وهذا يمثل جانبا مهما للحداثة الأدبية التي تعني قبل كل شيء الاشتغال على اللّغة.(Voir Bourdieu ,1992 ,P 105).

استمرت الكتابات الروائية على هذا النحو إلى نهاية التسعينيات حيث اتجه كتاب الرواية إلى البحث عن شخصيات تمثل هويتهم الوطنية والثقافية. ومع حلول سنة 1991م وهي بداية عهد التعددية الحزبية وانتشار المد الإسلامي، ظهر أدب جديد ينتقد ما آلت إليه الجزائر من أوضاع سياسية، وما نتج عن ذلك من انفلات أمنِ أو ما يسمى بالعشرية السوداء، ومن أشهر الأعمال الروائية التي صّورت هذا الواقع المرير(ياسمينة خضرا

ISSN 2664-1682

Yasmina Khadra 1955) في روايته " الجنون بالمبضع" *Le Dingue au bistouri* سنة 1990 و"معرض الأوباش" *La Foire des enfoirés* سنة 1993م و"بم تحلم الذئاب؟ *À quoi rêvent les loups* " سنة 1999م.

ركزت الرواية التي ظهرت في فترة العشرية السوداء على إبراز شخصية المثقف الجزائري بمختلف انتماءاته المهنية والإيديولوجية ليكون الشخصية المركزية داخل العمل السردي، وقد تعود ظاهرة هيمنة المثقف كشخصية محورية في النصوص السردية التسعينية كونه كان يحمل فكرا حداثيا مغايرا للسائد وقتها فاختلفت بذلك نقاط تأثيره، وتأثّره بالوسط السياسي الديني الجديد، فمن المثقفين من بقي حاملا لرسالته دون أن يهزه تيار العنف، ومنهم من سقط في وحل المحنة فنزل من علياء ثقافته ليتحول إلى ثائر ظالم، مجرم ناقم على الحياة، وهذا هو حال شخصية "نافا وليد" في رواية "بم تحلم الذئاب؟ *À quoi rêvent les loups* "لـ " ياسمينة خضرا" الذي كان يحلم بالفن. ليجد نفسه آخر المطاف متعثرا، متورطا ومساهما بشكل كبير في صنع العنف،و الموت. وعليه يمكن القول أن رواية "بم تحلم الذئاب؟" من أهم النماذج الروائية المعاصرة التي تناولت قضية الوطن في زمن المحنة بنجاح فني،حققت من خلاله مقروئية واسعة في مختلف دول العالم المتتبعة للأزمة السياسية وقتها.

إن الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية في فترة العشرية السوداء كانت حاضرة بقوة في ساحة الإبداع السردي إذ ظهر جيل جديد تناول ظاهرة العنف بكلّ جرأة ، ولامس الحقيقة الجزائرية بكلّ موضوعية وواقعية .و بطريقة أو بأخرى فإن هذه الرواية مثّلت الصورة الحقيقية للمجتمع الجزائري ،وأعطت بصمة التفرد والانتماء والخصوصية.

6. خاتمة:

لقد كانت استراتيجية الكتابة في ظل المدرسة الوطنية للآداب هو أن يكون الأدب وسيلة للكفاح لإعادة القيمة لذات منكسرة، مهزومة ومهمشة .إنها كتابة تهدف إلى تحويل المركز إلى الهامش والهامش إلى المركز. فبالرغم من لحظات اليأس التي كان يصاب بها

ISSN 2664-1682

الكتّاب الجزائريون، لم تسقط كتاباتهم في تلك الإغراءات الشكلية المميتة، فلم يحاولوا البحث عن ذواتهم داخل الفراغات المغلقة، ولم يقتلهم القلق ولا التهويمات الميتافيزيقية الغامضة. أمور أخرى منعت هؤلاء الأدباء من السقوط في حبائل الاستعمار وإغراءاته وعلى رأسها واقعهم الاجتماعي والطبقي، فكلهم من أصول طبقية فقيرة، ومهضومة الحقوق. هذه المعاناة وهذه التجارب المرة التي عاشوها هي التي جعلت منهم أدباء مبدعين وثوريين وفنانين يغمسون ريشتهم في الدم والعرق والعذاب، والحكمة والتمرد، والثورة والحرية.

سعت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية دائما إلى إبراز موضوعها عبر امتداد زمني معين، ليشمل بيئة اجتماعية، أو جانب من الحياة الإنسانية أوالتاريخ الإنساني. ووظفت الإلقاء النسقي بهدف استخراج الدلالات والمعاني المفاجئة للقارئ، وكان بذلك الأديب الجزائري رسولا للحقيقة و مساهما في بعث الحراك الاجتماعي، وبث الوعي الوطني.

فتح الأدباء الجزائريون الذين كتبوا بالفرنسية فضاءات رواياتهم على اتساع الجزائر بمختلف تضاريسها، ومدنها، وأريافها وحققوا بذلك أسطرة الواقع الجزائري وأدخلوه بقوة إلى المتخيّل الأدبي العالمي، ولم يكتفوا بذلك بل تجاوزوا حدود الجغرافيا السياسية للجزائر إلى رحابة الجغرافيا العربية والعالمية.لتصبح الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية ديوانا من دواوين الأمة الجزائرية، تحفظ لها تاريخها وموروثها الثقافي والأدبي على مرّ السنين لما تجمع بين طياتها من القيم والثوابت .فهذه النصوص الأدبية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية تسهم في تكوين الملتقى سلوكيا وفكريا، وتنمي لديه جانب التذوق الجمالي، والإحساس الوجداني، والقدرة على النقد، وتعزز ارتباطه بتراثه، وبالقيم والثوابت والمفاهيم السائدة في وطنه، وتعمل على دفعه للاعتزاز بها وتمثلها، واعتبارها جزءا من شخصيته.

تزخر الجزائر برصيد لغوي ثلاثي ثري بلغات متجذرة في الواقع الوطني التعددي، ولغة وإن كانت "لغة منفى" في حكم مالك حداد فهي بمثابة "غنيمة حرب منتزعة من المستعمر المهزوم"، الذي حتى وإن طال بقاؤه، إلا أن الثوابت الجزائرية بقيت صامدة،.فالجزائر بأدبها وثقافتها المتعددة أسهمت بصورة جدية في ترقية عالمية العربية

ISSN 2664-1682

وتقديمها للقارئ العالمي من خلال مبدعيها، وكثيرا ما قدمت هذه الثقافة للغير عبر كتاب جزائريين يكتبون بالفرنسية، وعبروا عن روح عربية إسلامية، ومثلوا الأدب الجزائري وخصوصية مجتمعهم بمختلف تناقضاته.

ولأن الوطن بكل عناصره يفضي في جوهره الدلالي إلى تحقيق وجود كوني يؤكد علاقة ثابتة (أنا أنتمي لهذا الوطن فأنا موجود)، فإن هذا الانتماء قد تحقق عند المبدعين الجزائريين في فضاء الواقعية و الالتزام شعورا و كتابة ووعيا و نقدا.

قائمة المراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية:

أسوبرتي، محمد (1987). مساهمة في بويطيقيا البنية الروائية الجنونية. *مجلة عالم الفكر*. عمان. *(18)* 1، 89-102.

بوباكير، عبد العزيز.(2002). *الأدب الجزائري في مرآة استشراقية.الجزائر:* دار القصبة للنشر.

حاجم، إسماعيل (2007). *الصراع الحضاري في الرواية الفرنكفونية المغاربية.الجزائر:* دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.

بن سمينة، محمد (2003). *في الأدب الجزائري الحديث النهضة الأدبية الحديثة، مؤثراتها بدايتها، مراحلها*. الجزائر: مطبعة الكاهنة.

منور،أحمد.(2007). *الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

ثانيا:المراجع باللغة الفرنسية:

Boudjedra , Rachid.(1969). *Lare pudiation.* Paris : DANEOL.

Bourdieu, Pierre. (1992). *Les règles de l'art*. paris : Edition du Seuil.

Djaout ,Tahar.(1984) *les Chercheurs d'os*. Paris : Edition du Seuil.

Djaout, Tahar.(1987) *L'Invention du déser**t.*** Paris: Edition du Seuil.

Djaout, Tahar.(1991) ***Les** Vigiles* . Paris : Éditions du Seuil.

ISSN 2664-1682

Djaout , Tahar.(1999) *Le Dernier Été de la raison*. Paris : Éditions du Seuil.

Dejeux, Jean. (1980) *Littérature maghrébine de langue française,Sherbrooke*. Québec : Ed.Naaman.

Dib, Mohamed .(1952) *La grande maison*. Paris :Seuil.

Dib, Mohamed L'Incendie.(1954*) roman*, paris : Seuil.

Dib, Mouhamed . (1957) *Le Métier à tisser*. paris : Seuil.

Feraoun ,Mouloud. (1950) *Le fils du pauvre*. paris : Seuil.

Feraoun, Mouloud.(1953*) La terre et le sang*. Paris :Seuil.

Feraoun, Mouloud. (1957) *Le chemins qui montent*. Paris : Seuil.

Haddad, Malek. (1959) *Je t'offrirai une gazelle*. Paris : Julliard.

Haddad, Malek. (1960) *L'eleve et la lecon*. Paris : Julliard.

Haddad, Malek.(1961) *Le Quai aux Fleurs ne répond plus*. Paris: Julliard.

Khadra Yasmina.(1999) *À quoi rêvent les loups*. Paris : Julliard.

Memmi, Albert.(1969) *introduction d'anthologie des écrvain Africaine Maghreb*. Paris : Julliard.

Mimouni, Rachid .(1989) *L'honneur de tribu*. Paris: Gallimar.

ISSN 2664-1682